

تجربة القارئ بين التجاوب الجمالي والتفاعل النصي - قراءة في طروحات فولفانغ آيزر وستانلي فيش -

**The reader's experience between aesthetic response and
textual interaction - a reading in the propositions of Wolfgang Iser
and Stanley Fish-**

قوادي عيشوش فاطمة الزهراء⁽¹⁾

جامعة أحمد بن بلى وهران 1، (الجزائر)

kouadriaichouch.fatima@univ-oran1.dz

تاريخ النشر: 2025/12/26	تاريخ القبول: 2025/12/03	تاريخ الإرسال: 2025/09/10
-------------------------	--------------------------	---------------------------

الملخص :

تعد نظرية التلقي والاستقبال من أهم المقاربات النقدية المعاصرة، وقد شهدت لها مكانة هامة في الطرح النقدي لما بعد البنيوي من خلال منح القارئ السلطة في الفهم والتأويل.

إننا في هذه الورقة البحثية سنحاول دراسة ما جادت به نظرية الاستقبال والتلقي، التي تركز في بناء معناها على دور القارئ في تحديد معنى النص، وسنركز في ذلك على نهج فولفانغ آيزر وستانلي فيش، كما يعرض البحث أهم مفاهيم حول نظرية التلقي والتأويل، وتحديد أهم مرتكزاتها النقدية عند الناقد.

فإننا نروم للإجابة عن بعض التساؤلات الجزئية التي تحدد إشكالية هذه الورقة البحثية، وهي ما هو دور القارئ في بناء معنى النص؟ وفي ما تمثلت أهم الآراء النقدية لكل من آيزر وفيش في هذا الإطار؟، وأين يكمن البعد الجمالي لهاتين النظريتين؟.

* قوادي عيشوش فاطمة الزهراء

وخلص البحث إلى أن لتجربة القارئ دوراً مهماً في العملية الإبداعية، وذلك من خلال إعادة بناء معنى النص، فالمعنى ينتج من التفاعل الحاصل بين البنية النصية للنص والبنية الذهنية لدى المتلقي.

الكلمات المفتاحية: المعنى، المتلقي، التجاوب، التفاعل النصي، أسلوبية العاطفة.

Research Summary

Reception theory is one of the most important contemporary critical approaches, and has seen it have an important place in the post-structuralist critical discourse by giving the reader the authority to understand and interpret.

In this research paper, we will try to study the theory of reception and reception, which is based on building its meaning on the role of the reader in determining the meaning of the text, and we will focus on the approach of Wolfgang Iser and Stanley Fish, and the research also presents the most important concepts about the theory of reception and interpretation, and identifying its critical foundations.

We aim to answer some of the partial questions that define the problem of this research paper, namely what is the role of the reader in constructing the meaning of the text? What were the most important critical views of both Iser and Fish in this context, and where does the aesthetic dimension of these two theories lie?

The research concluded that the reader's experience plays an important role in the creative process, by reconstructing the meaning of the text, as the meaning results from the interaction between the textual structure of the text and the mental structure of the recipient.

.Keywords: meaning, recipient, response, textual interaction, emotion stylistics

مقدمة:

اهتمت المناهج النقدية في مرحلة ما بعد البنيوية بدور القارئ في إنتاج المعنى، كونها "تجنح لتفكيك القيود التي أثقلت كاهل المعنى، والانطلاق إلى حرية ممارسة الدال، والوصول إلى لا نهائيته"¹، حيث جاءت نظرية التلقي مخالفة للمناهج النقدية التي سبقتها، فالمناهج السياقية اهتمت بالظروف التاريخية والاجتماعية والنفسية المحيطة بالمؤلف في نقد القرن التاسع عشر، ثم النقد البنائي الذي حبس

النّص بسياجات لغوية مغلقة (التركيز على العناصر الداخلية للنص)، وكان لا بدّ لنظرية التلقي والتأويل من أن تحرر النّص من سلطة المؤلف والنص، وربط القارئ بالنص وما يحدث من تفاعل بينهما.

فقد مثّل القارئ دوراً مهماً في الدراسات النّقديّة الحديثة، خاصة تلك التي تعلقت بمباحث التأويل في محاولة لإعادة إنتاج معاني النص، ذلك من خلال تحديد نمط العلاقة بين النص والقارئ، " ليضع العملية الأدبية في دائرة التواصل الإنساني"²، الذي يهدف إلى الربط بين (النص - المتلقي) وهو بحد ذاته يمثّل تفاعلاً جمالياً، وعليه جاء المقال بعنوان تجربة القارئ بين التجاوب الجمالي والتفاعل النصي - قراءة في طروحات فولفغانغ إيزر وستانلي فيش - بهدف لفت انتباه الباحثين إلى دور القارئ في إنتاج معاني النصوص في محاولة للإجابة عن الإشكالات الآتية:

- فيما تتمثل علاقة المتلقي بالنص؟.

- ما مدى أثر تجربة القارئ في إحداث التفاعل النصي عند كل من فولفغانغ إيزر وستانلي فيش.

معتمدة على الخطّة الآتية:

- نظرية التلقي والتأويل.

- الإرهاصات والمؤثرات في نظرية التلقي.

- ركائز نظرية التلقي.

- جمالية التجاوب فولفغانغ إيزر: izer

- أساليب العاطفة وتجربة القارئ عند ستانلي فيش: stanly fish

- تجربة القارئ في بناء المعنى بين نظرية التجاوب وأسلوبية العاطفة.

وقد اعتمدت في هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي في التعرف على المفاهيم المتعلقة بنظرية التلقي والتأويل، ذلك أنّه كان من الضروري لجهة ارتباطه بتحليل معطيات نظرية التجاوب وأسلوبية العاطفة ورصد أهم مظاهر التداخل الوظيفي بينهما ، وهذا ما تطلبه موضوع البحث.

2. نظرية التلقي والتأويل:

1.2 إرهابات ومؤثرات نظرية التلقي :

يرى بعض النقاد أن نظرية التلقي وليدة فلسفات عُنيت بقضايا الخطاب وتأويله وتفسيره، فهذه النظرية تمت تغذيتها من قبل هذه التوجهات المعرفية، كونها "تعد صدى للتطورات الاجتماعية والفكرية والأدبية في أمريكا وألمانيا"³.

ومن بين أهم هذه النظريات نجد كالآتي:

1. الشكلائية الروسية: ركز الشكلازيون الروس على جمالية اللغة، ذلك "بتوسيعهم مفهوم الشكل بحيث يندرج فيه الإدراك الجمالي، وبتعريفهم للعمل الفني بأنه مجموع (عناصره) ويجذبهم النظر إلى عملية التفسير ذاتها التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بنظرية التلقي"⁴؟

ومن بين أفكار الشكلايين التي أسهمت في نظرية التلقي نجد الإدراك الجمالي للأدب، "فعند شلوفسكي أن الصورة ليست العنصر المكون للأدب، لأنها في ذاتها ليست سوى أداة لخلق أقوى انطباع ممكن، فهي واحدة من أدوات شعرية كثيرة تستخدم للوصول بالتأثير إلى ذروته"⁵، وبهذا يتجلى تصورهم للإبداع على أنه انحراف عن المؤلف.

لا جرم أن بحث مثل هذه المسألة ذو بعد واسع، حيث يرتهن التلقي بالغرض الكلامي، "وهنا يصبح دور المتلقي بالغ الأهمية، وبمعنى ما، يكون الشخص المدرك هو من يقرر الخاصية الفنية للعمل"⁶، لذلك فإنّ العمل الفني تشكيل متفرد، يحقق لنا قدراً متميزاً من المتعة، ويؤثر في نفوس المتلقين تأثيراً جلياً.

كما كان لخاصية التغريب أثراً في ازدهار نظرية التلقي، باعتبار أنه "يشير إلى خاصية بين القارئ والنص تنزع الشيء من حقه الإدراكي العادي"⁷، حيث يثير التغريب الدهشة والغربة في نفس المتلقين، مما يحقق استجابة شعورية تسحر الأبواب، فمن ثم، فإنّ "التغريب وإذا قصد به المؤلف إلى

أهداف عملية أو إدراكية، يظل عملية تنشئ علاقة بين القارئ والنص، وهذه الفاعلية نفسها هي التي تحدد الأدب بوصفه فناً⁸.

فقد استثمر ياكوب آراء الشكلايين الروس، " حيث اخذ بتاريخية تطور الأشكال وتداخل القديم والجديد في مسار التطور التاريخي للأدب"⁹، حيث ركزت نظرية الاستقبال والتلقي على دراسة تاريخ الأعمال الأدبية، وتعاقب القراءات ودورها في تأويل الأدب، باعتبار أن "جمالية التلقي هي محاولة لتجديد التاريخ الأدبي، ليست متضمنة في علاقة التحام تتحقق بعداً بين أحداث أدبية، ولكنها تقوم على التجربة التي يكتسبها القراء من الأعمال أولاً¹⁰.

2. ظاهرة رومان أنجاردن :

ساهمت الفلسفة الظاهرتية في تشكيل أفكار نظرية القراءة والتلقي، حيث تأثرت نظرية التلقي بظاهرة رومان أنجاردن من خلال التركيز على القارئ والنص أو الذات والموضوع في تحديد جمالية العمل الأدبي، وذلك " للتمييز بين الصورة المفهومة للعمل الأدبي وبنية الهيكلية، بين الموضوع الجمالي والعمل المبدع، ويشير التحقق العياني إلى أي مبادرة يقوم بها القارئ لملاء أي موضع من مواضع الإبهام"¹¹، ذلك من خلال الاستجابة للنص وبهذا يواجه رومان أنجاردن roman ingarden بنية النص الأدبي بالطرائق التي يمكن أن تُدرك بها¹²، فيتحقق فعل الفهم من خلال عملية الإدراك الذي يُنجزه القارئ.

3. مدرسة براغ:

وعرف ماكارفسكي العمل الفني بأنه علامة مركبة أي حقيقة علامية تتوسط بين الفنان والمخاطب (الجمهور المستمع-القارئ)¹³، وهذا ما يجعلها تتقاطع مع نظرية التلقي، إذ " يتضح إحياء ماكارفسكي بنظرية التلقي عندما يحدد الإطار العام للفن عنده بوصفه نظاماً حيويًا دالاً¹⁴، حيث يكمن دور المتلقي في فك تشفير العلامات وإزاحة معانيها المعتمدة.

4. اجتماعية الأدب:

يهتم المنهج السوسيولوجي بعلاقة الأدب بالمجتمع، وهذا الأخير هو "مصدر الأعمال الأدبية فالأدب ليس نتاج فردي بل هو من ضروب الإنتاج الجماعي، فالعلاقة بين الأدب والمجتمع علاقة تأثير وتأثر¹⁵.

وفي خضم هذا التصور للمنهج الاجتماعي الذي دعا إلى التعامل مع النصوص من منظور اجتماعي، باعتبار أن الطبقات الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية الخارجة عن النطاق الجمالي تقوم بدور مهم في تأسيس المعايير وتغييرها¹⁶، وذلك من خلال دور المتلقي في المجتمع، مستندا إلى عملية إنتاج الأدب.

تبنى هانس روبرت ياكوبس " فكرة العلاقة بين الأدب والمجتمع وهو الاتجاه العام الذي سار عليه سابقا الفكر الماركسي، وإذا كان في نظره فهم تطور الأدب في إطار ما يحصل من تبدل في أنساق التاريخ، وهو ما يماثل الظروف الاجتماعية، فإن تطور الأدب في هذه الحالة يكون مندمجا بالتاريخ وليس مجرد عاكس مرآوي له¹⁷.

إن المتأمل لهذا الطرح يدرك تأثر باوس بعلم اجتماع القراءة لتعود به إلى أهمية القارئ في تحليل النصوص التي بدا القراءات المتعاقبة عبر التاريخ ذا أصول متجددة من النظرية الماركسية.

5. تأويلية هانس جورج غادامير:

يركز غادامير على دور المتلقي في فهم تأويل معاني النصوص، وهو ما يقترب من نظرية التلقي التي تهتم بدور القارئ في بناء معاني النص.

فقد استنقت نظرية التلقي والتأويل عدة إجراءات معرفية من نظريات فلسفية ونقدية سابقة، فكل نظرية نقدية تعود بالأساس إلى فلسفات سابقة تطرح تصورات حول علاقة النص بالمتلقي، ليصبح النقد حاملا لرؤى فلسفية وأدبية متنوعة.

2.2 ركائز نظرية التلقي:

ظهرت نظرية التلقي reception theory مع مدرسة كونستانس الألمانية في نهاية الستينات من القرن العشرين، إذ تأسست مع الناقدَيْن مع (هانس روبرت ياكوبس و فولفغانغ أيزر)

تذهب معظم التعريفات الاصطلاحية للتلقي إلى أنها علاقة المتلقي بالنص الأدبي، من خلال ما قدمه نقّادها من آراء، حيث أعلن ياكوبس تغيير النموذج في الأدب ليتحول من تحليل ثنائية الكاتب - النص إلى تحليل العلاقة نص - قارئ¹⁸، ذلك من خلال التركيز على دور القارئ في إنتاج المعنى في العمل الأدبي، يمارس فيه القارئ مهاراته الإبداعية في رسم مسار جديد للتأويل الفني.

وتهدف هذه النظرية إلى تحقيق التواصل بين النص والمتلقي، والاهتمام بهذا الأخير بعدما أهمل في النظريات النقدية السابقة، فهذه النظرية " تجعل التفسير التاريخي للأعمال الأدبية مرتبطاً بالقراء بقدر أساسي لا يقل عن ارتباطه بالكتاب وأعمالهم الأدبية وظروفهم التاريخية"¹⁹.

ومن بين أهم ركائزها نجد:

1. **المتلقي:** يعد المتلقي عنصراً مهماً في العملية الأدبية، الذي يحاول تفسير وتأويل النصوص حسب خبراته ثقافية واجتماعية التي اكتسبها في تجاربه السابقة.
2. **النص:** عبارة عن نظام لغوي يقوم على علاقات مترابطة، يعتمد عليه المبدع للتعبير عن ما يختلج في ذاته من أفكار ومشاعر، من خلال ما يحتويه من عناصر لغوية وجمالية يراد منها توصيل رسائل مشفرة إلى المتلقي، ذلك من خلال شدّ انتباهه والتأثير فيه.
3. **إنتاج المعنى:** تهدف نظرية التلقي إلى إشراك القارئ في عملية إنتاج معنى النص، وصياغة معانيه وإعادة تأويلها، ذلك أنّ "الأدب ينبغي أن يدرس بوصفه عملية جدل بين الإنتاج والتلقي، فالأدب والفن لا يصبح لهما تاريخ له خاصية السياق إلا عندما يتحقق تعاقب الأعمال لا من خلال الذات المنتجة بل من خلال الذات المستهلكة كذلك"²⁰.

يسعى القارئ إلى إعادة بناء وإنتاج النص، وإغنائه بتفسيرات وتأويلات جديدة، ومن هنا " فليس أمامنا في أي حال سوى استخدام النص أو عملية النص التي تتضمن الإنتاج والتلقي معاً"²¹، ويتم ذلك إلا من خلال الفهم والإفهام، وجهة نظر مختلفة مفادها أن المعنى نتاج التفاعل الحاصل بين القارئ والنص.

نخلص إلى أنّ لنظرية التلقي مكانة وأهمية في الطرح النقدي، لما حظي به القارئ من مكانة في العملية التواصلية، ولا يتم ذلك إلا من خلال الفهم والإفهام، وإيصال المعنى المراد إلى متلقيها.

3. تجربة القارئ بين فولفغانغ آيزر وستانلي فيش:

1.3: جمالية التجاوب فولفغانغ إيزر: izer

يعد آيزر أحد رواد مدرسة (كونستانس) الألمانية، حيث قام بتحديد مجموعة من الإجراءات النقدية التي تركز على التفاعل بين النص والتلقي، من خلال محاضراته التي ركز فيها إستراتيجية القراءة، وأطلق على نظريته اسم (جمالية التجاوب).

تستند تجربة القارئ بحسب آيزر على معيارين، هما:

- الجشطالت -التأويل المتسق.
- التفاعل بين البنية النص والبنية الذهنية للمتلقى.

فجمالية التلقي عند آيزر تسمح بإدراك معنى النص، بناء على تفاعل القارئ معه، في سياق تجربته الذهنية، مما يعني أنّ تميز تجربة القارئ تعود إلى خبرته الجمالية لتفاعل مع الأبنية النصية، وذلك من خلال التركيز على التفاعل الحاصل بينهما.

تركز نظرية القراءة لدى إيزر على تجاوب القراء مع النصوص، فهي "تعالج الدور الأساسي لعملية تمثّل القراء للبنى النصية، وخلاصة هذه المباحث كانت هي أن النص الأدبي يستحيل أن يكتسب مدلولاً ما من دون إدخاله في نسق قراءة القراء²²، باعتبار أن للمتلقى دوراً كبيراً في إنتاج وبناء المعنى، من خلال عملية التحليل والتأويل التي يقوم بها.

أستند آيزر في نظريته الجمالية على المفاهيم الإجرائية الآتية:

1. وجهة النظر الجوالّة: أعتمد آيزر على وجهة النظر الجوالّة، لتحديد العلاقات

التي تربط بين بنيات النص، "فإن القارئ مرغم على القراءة التدريجية، لذلك يندمج في بنيات

النص ويعدل كل لحظة مخزون ذاكرته في ضوء المعطيات الجديدة، لكل لحظة من لحظات القراءة²³.

و من هذه المنطلقات المنهجية يحكم هذا الإجراء قطبان أساسيان، هما:

- 1- **التوقع : prevision** هو ترقب ما سيحدث من تغييرات في مسار تمثل النص.
 - 2- **التذكر: rememoration** هو العودة إلى تلك العناصر المنسية التي لم يتم الانتباه الكافي لها... وهذا يؤدي إلى تغييرات متعاقبة في كل لحظة من لحظات القراءة تُعاد فيها هيكلية كل ما سبق تمثله بصورة جديدة إلى أن يستقر التمثل في شكله النهائي عند إتمام عملية القراءة²⁴.
- تمثل هذان القطبان فاصلا مهما في توجيه المتلقي، حيث "يكون التذكر مسئولا عن اندماج القارئ في النص بينما يشير التوقع إلى لحظة تحرر القارئ من النص،... وهي الصورة التي تبين كيف يجرب القارئ النص كحدث حي"²⁵، وتم إيلاء عمليتي التذكر والتوقع أهمية كبرى في قراءة النص، لأنهما المسئولان عن تفعيل الدلالة ضمن سيرورة تأويلية، ومنه، فإن هذه المتغيرات تتماهى مع بنية التخيّل التي تسعف القارئ على استنباط المكونات النصية، حيث تؤدي الدلالات النصية عطاء جماليا من خلال إحياءاتها المتنوعة، وأداءها للمعنى بطريقة مخصصة، فتشدّ انتباه المتلقي إليها حتى تغريه نحو فضاء رحب من التأويلات المتعددة.

فقد عبّر عنها آيزر بإستراتيجية القارئ للوصول إلى التأويل النهائي، ذلك أنّ "غاية وجهة النظر الجواله للقارئ هي بلوغ التأويل المتسق (أو الجشطالت)"²⁶، فهذا المفهوم يشير إلى قدرة المتلقي على تعجير الدلالة في النص، "فإن النص لا يمكن انفتاحه كموضوع إلا في المرحلة النهائية للقراءة"²⁷، التي يصل فيها المتلقي إلى نهاية التأويل وتحقيق الاستجابة نتيجة تفاعل القارئ مع النص.

ففاعل القراءة عند إيزر يقوم على تفاعل القراء مع النصوص بمحركات تلقائية بعضها يعود إلى القراء والبعض الآخر يعود إلى طبيعة تكوين النصوص، فالقراء لديهم خطاطاتهم الذهنية التي تكونت

في الحقل الاجتماعي والثقافي والنص له إستراتيجيته الخاصة التي تحمل معالم الطريقة التي يفترض أن تتم به قراءته²⁸.

تتكشف الآليات التي يواجه بها القارئ ذلك النص، وهو صلب نظرية التجاوب التي تُعنى بالفعاليات الذهنية للمتلقي في محاورته لمكونات النصوص، التي تُسهم في بناء النص وتماسكه من جهة، وإبراز جمالياته من جهة أخرى، من هذا المنطلق يغدو بنية لغوية مفتوحة على جملة من التغيرات الحاصلة في النسيج النصي.

يحاول القارئ تقصي الأبعاد الجمالية الماثلة في ثنايا النص، حيث أن تنوع الأساليب الموظفة في بنية النصوص، تجعل القارئ يتفاعل معها ويتجاوب معها، وهذا ما يؤكد حدوث عملية الاستجابة بين (المتلقي والنص).

من هذا المنطلق تحاول نظرية التجاوب لدى آيزر إبراز ردود أفعال المتلقين حول النص الأدبي، الذي يحمل معاني ودلالات متنوعة يحاول القارئ تفسيرها وتأويلها، وحتى يتمكن من ذلك لا بد له من معايشة كل لحظة من لحظات النص.

وقد عبّر آيزر عن النص "على أنه هيكل عظمي، أو جوانب تخطيطية يقوم بها المتلقي بتحقيقها أو تجسيدها"²⁹، ويتحقق ذلك بمدى تجاوب المتلقين، إذ يشير لديهم آثار يبعثها النص في ذهن القارئ.

اتخذ القارئ إجراءات خاصة في تحديد المعاني المتولدة عن بنية النصوص، بهدف الوصول إلى الدلالات النهائية، "والقراءة عنده إعادة تركيب مستمر للتجربة، وهي عملية جدلية للاتصال بالنص"³⁰، "حيث يكون عدم تطابق القارئ مع الوضع النصي هو أصل التفاعل التبادلي ومنبعه، فالاتصال ينتج عن حقيقة وجود فجوات في النص تمنع التناسق الكامل بين النص والقارئ"³¹، ويمكن دور هذا الأخير في ملئ الفجوات، بحيث تتراءى لنا أن تفاعل المتلقي مع النص يسهم في حدوث استجابة التي هي حسيطة اندماج البنية الذهنية للقارئ مع البنية النصية.

وذلك بتتبع ما ذكره آيزر إلى أن النصوص تحمل في ثناياها معانٍ محتملة يفترض أن يقوم القارئ بإعادة بنيتها من جديد، وذلك من خلال " ربطه بجميع التحليلات اللغوية الكاشفة لتجربة النص بتصورات القارئ الخاصة"³²، " فالمبدع يكتشف نفسه من خلال تجربة الكتابة الأدبية، والقارئ في فعل القراءة يقوم بدور بتنشيط النصوص في الوقت الذي يحدث لديه تغيير من حيث يشعر أو لا يشعر"³³، ومعنى هذا أن أبنية النصّ مكيفة مع التصورات الذهنية للقارئ بما هو تأثير يتم تحقيقه نتيجة التفاعل بينهما.

1. القارئ الضمني:

هو قارئ افتراضي "يخلقه النص لنفسه، ويرقى إلى شبكة من البنى التي تستدعي الاستجابة، ويتحتم على وعي القارئ - وفقا لتحديد آيزر- أن يقوم ببعض التعديلات الداخلية لكي يتلقى ويستوعب الآراء الغريبة التي يقدمها النص حين تتم عملية القراءة"³⁴، ومن هنا نجد أنّ القارئ الضمني هو الموجه النصي الذي يعيد بناء النص من خلال تجربته الفنيّة والجماليّة، فهذا القارئ عبارة عن بنية نصية تتطلع لحضور القارئ لتقييم جسرا بينه وبين النص"³⁵، يحاول اكتشاف ما في النصّ من معان خفية لأجل تأويل جديد، "فخيال القراء هو في نظر آيزر مادة توليدية للنصوص"³⁶، ومن هنا يمكن تفسير النصّ بناء على البنيات الذهنية للقارئ.

إن التفاعل الحقيقي ناتج عن كونه استجابة فعلية بين القارئ والنص، و"هكذا تصبح البنية الذهنية للقارئ أثناء فعل القراءة جزءا لا ينفصل عن بنية النص نفسه، وكل معنى ناتج عن التجاوب الجمالي،... إنه حصيلة اندماج معطيات البنية الذهنية وتفاعلها مع بنية النص"³⁷، وما يواجهونه في النص من فجوات يتوجب فك ومعنى هذا أن توافق مع النص له دور في عملية التقويم الجمالي الذي يحدث أثرا في متلقيه، " أي بوصفه أثرا يمكن ممارسته"³⁸، وهو ما يسمح بإبراز القيمة الجمالية المتولدة عن النصوص الأدبية.

يتضح من خلال طروحات آيزر الجماليّة أنّ التفاعل الحاصل بين البنية النصيّة والمتلقّي، يُنتج تأويلا جديدا، يكون نتاجا للتجاوب والتفاعل بينهما، "قالقارئ يؤسس وهما ما انطلقا من تفاعله واشتغاله

على البنيات الأساسية للمنظور الجملي باعتبارها معطيات نصية³⁹، مما يدل على أن تصوره للعملية النصية جاء تصورا متكامل الأبعاد باعتباره ما تؤديه هذا التتابع الجملي من دلالات في السياق، والتأثيرات المرتبطة به في حالة القراءة

2. التكوين الجشطالتي المستمر:

الجشطالت "هو النشاط التجميعي الجوهرى لفهم النص، وينطوي على مستويات تناسق نمطية مستمرة التشكل من خلالها تجد التجمعات النصوصية معانيها⁴⁰، ومما يلاحظ في هذا الطرح أنه يسهم في تكوين معنى النص وتعديله مع كل قراءة جديدة.

وفي هذه المرحلة يرى أيزر أن "القارئ يجب أن يعيد باستمرار ترتيب أوراقه وإعادة ترتيب مفاهيمه، وعليه أن يعي أن إغلاق التكون الجشطالتي لا يتم إلا إذا تم اختيار احتمال واحد على حساب بقية الاحتمالات الأخرى واستبعادها"⁴¹، وينطوي هذا الإجراء على إستراتيجية نصية تسهم في شرح الدلالات الكامنة في المكشوفة كانت أو متوارية، لما لها من أثر على المتلقي.

وبناء على ما سبق، تقوم جمالية التجاوب على على ثلاثة ركائز كالاتي:

- 1- النص بما هو موجود بقوة، يسمح بإنتاج المعنى عندما يقوم القارئ بتجسيده وملئ فجواته.
- 2- أهمية الصور العقلية التي تتشكل أثناء محاولة بناء موضوع جمالي.
- 3- شروط التفاعل بين النص والقارئ⁴².

احتل المتلقي مكانة هامة في نظرية أيزر من خلال تجربته في إنتاج وإعادة بناء المعنى، ونجد ذلك عبر إجراءات تتلبس بالنص وأبنيته، حتى يتسنى للقارئ، تأويله وتفسيره لأجل البلوغ إلى التأويل المتسق.

2.3 أساليب العاطفة وتجربة القارئ عند ستانلي فيش: stanly fish:

تعد أسلوبية العاطفة مع رائدها "ستانلي فيش" منهجا متكاملًا في تحديد تأثر القراء بالنص الأدبي، ونجد ذلك في وظيفته التأثيرية الجمالية وعلاقتها بالأبنية اللغوية.

ويضع فيش معايير خاصة توجه المتلقي إلى استكناه دلالات النص، " فتعكس الأسلوبية التأثيرية في توجيهها نحو استجابة القارئ المتطورة في علاقتها بمفردات الجمل عند تعاقبها في حيز الزمان، ويكون توقع القارئ للمعنى مكيفا على نحو مستمر، أي أن المعنى هو الحركة الكلية للقراءة"⁴³، التي بدورها تعمل على تحديد دلالات النص وفهمه.

وتعنى الأسلوبية التأثيرية بنقل التفسير مباشرة إلى القارئ، وتشير إلى أن هذا التفسير يضيف إلى النص دلالات متعددة، انطلاقاً من الاستغراق في الوصف المفصل لعملية توليد المعنى والمتناقضات، فضلاً عن التوجه القاضي بكون القارئ هو المصدر الرئيسي والنهائي للمعنى⁴⁴، ومكاشفة مواطن الشحن في النص لأجل إبراز فنياته وخصوصيته المتفردة.

وتظهر رؤية ستانلي فيش " في تركيزه على العمليات التي يكيف بها القراء توقعاتهم أثناء متابعتهم للنص، وبكونه يدرس ذلك على المستوى المحلي المباشر للجملة"⁴⁵، "ففيش" بهذا المفهوم اهتم بالتأثير الذي يخلقه النص، وبذلك تتعاوض أبنية النص بما تحمله من دلالات متناسقة مع التوقعات التي يتقصدّها القارئ.

عطفاً على ما سبق، يمكننا القول أن فيش " يتجه تركيزه إلى الاستجابات المتصاعدة للقارئ إزاء كلمات الجمل المتتابعة في الزمن"⁴⁶، وهذا ما يوضحه أثر التشكيل اللغوي، وتمفصلاته الداخلية على القارئ، التي شكلت ملمحاً مثيراً لديه.

و تبعا لذلك، نستشف ذلك بقول وولتر باتر:

(إن حياتنا هذه التي تشبه على الأقل اللهب، ليست سوى التقاء، يتجدد من لحظة إلى أخرى، للقوى التي ترتحل عاجلاً أو آجلاً إلى سبلها"⁴⁷).

إن هاتين الجملتين تفاعلاً يحدث من خلال النّقلات القرائية داخل هذه الجمل المتعاقبة، من تلاءم أبنية الأنسقة النصية، والتي تتداخل مع بعضها البعض، حيث يعلق فيش على هذا المقطع بأن "باتر يمنع القارئ من تكوين صورة ثابتة أو محددة في الذهن بواسطة (التقاء القوى) الذي يتجدد من لحظة إلى أخرى، وأن باتر يدفع القارئ في كل مرحلة من الجملة إلى القيام بتعديل للتوقع والتفسير، ففكرة

(الالتقاء) يعطّلها (الارتحال) وعاجلاً أو آجلاً تترك (الارتحال) غير محدد زمنياً، لذلك يتعدل توقع القارئ للمعنى على نحو مستمر⁴⁸، فالمعنى هنا مرهون بالتتابع الجملي الذي يحدث أثراً في متلقيه.

تُظهر أسلوبية العاطفة لدى فيش اهتمامها بالبناء النصي من خلال إشارته إلى الآثار الجمالية المؤثرة في المتلقين، من خلال سلسلة من القراءات، بحيث تحدث "استجابة القارئ فيما يتعلق بالكلمات حين تعقب إحداها الأخرى زمنياً، فاستجابة القارئ لكلمة معينة هي نتاج استجاباته لكلمات سابقة، الاستجابة هنا عبارة عن سلسلة مشاعر⁴⁹.

وتتلخص معطيات فيش في مصطلح تجربة القارئ، فمعرفة المتكلم الدلالية تمكنه من معرفة معنى الكلمات المفردة وكيفية تأليف تلك المعاني بحيث تكون منسجمة⁵⁰، لذلك فالمعنى هو نتاج تفاعل الكلمات مع بعضها البعض في فضاء النصّ، وتشمل مقولة الاستجابة على جميع الفعاليات التي يثيرها صف كلمات معينة، أي أنها تشمل على تصور الإمكانيات التركيبية والمعجمية، وحدثها اللاحق أو اللاحقون⁵¹.

يستند فيش في منهجه على مكاشفة النواحي الجمالية التي تنبني عليها للنصوص، لتفسير تأثيرها في أثناء القيام بقراءة النصّ، والتأثيرات التي تتضمنها الدلالات والمعاني، بما يجعل من القارئ مدخلاً لفهم الدلالة وفك شفراتها المتعددة.

3.3. تجربة القارئ في بناء المعنى بين نظرية التجاوب وأسلوبية العاطفة:

تكمن الشراكة المفاهيمية بين النظريتين، من خلال الاستعانة بنفس الإجراءات التحليلية في مقارنة النصوص الأدبية، فكلاهما يركز على تجربة القارئ في محاور النص وإنتاج دلالاته ومعانيه، واختلاف الآراء حول دور القارئ، يعود إلى اختلاف التوجهات النقدية، حيث تناول الدارسون من زوايا مختلفة، فكل ناقد له رؤية خاصة في تحديد مهام القارئ/المتلقي في مكاشفة خبايا النصوص.

فنرى أنّ آيزر "يقدم قارئه المضمر على أنه المؤهل لقراءة النص كما هي الحال مع القارئ المثالي عند فيش⁵²، فوعي القارئ هنا له دور فعلي في تخصيص القراءة وهذا يعود إلى التأثيرات الحاصلة بين النص والقارئ، لتخلق نوعاً من التفاعل الدينامي بينهما.

كما كان التداخل جلياً بين النظريتين (التجاوب - أسلوبية العاطفة) في استقراء العلاقة بين المتلقي والنص، وما يحدثه من أثر أثناء القراءة، فاللغة آلية سحرية تمارس تداعيات كونها تنقل مضامين مفرداتها إلى ذهن القارئ، محدثة أثراً بناء على معادلة المؤلف/ المتلقي، أو المثير / الاستجابة.

تتشابه النظريتان (جمالية التجاوب وأسلوبية العاطفة) في جوانب متعددة، فكلاهما محاولة للوصول إلى بنية النص واستقراء دلالاته المخبوءة وراء أسوار البناء اللغوي، فهو تفاعل ينتج من التداخلات الحاصلة بين القارئ والنص.

والتجربتان تقومان كذلك على التتابع الجملي الذي يضمن الاستمرارية في تأويل معاني جديدة، ويترتب عن هذا أن المعنى يتحقق بتجربة القارئ، الذي يهدف من خلالها إلى تفسير وتأويل النص الأدبي.

ولتوضيح المسألة ميّز كل من أيزر وفيش مهمتين للقارئ هما: مهمة التفاعل ومهمة التحقق، أما مهمة التفاعل فهي تمثل مرحلة التجاوب مع معطيات البنية النصية ذلك من خلال إشراك المتلقي في صنع المعنى، أما مهمة التحقق فهي مرحلة يستقصي فيها القارئ إجراءات النص، ويوضح فيش الإستراتيجية النصية التي أشار إليها أيزر، فيركز على التتابع الذي أساس تفعيل المعاني.

4. خاتمة:

ونخلص إلى نظرية أيزر (جمالية التجاوب) "بغية التأكد على مفهوم القارئ لا بما هو ذلك المستفيد من النص بل بما هو منتجه والعامل على إخراج النص ذي الخطاطات المتباينة والمتضاربة والمتفاعلة فنياً ونفسياً واجتماعياً وروحياً.... إلى عالم الممكن إخراجاً مشروطاً بكفاءة القارئ وخياله⁵³، تفاعل عدّه فيش مرهونا بسيرورة متعاقبة لقراءات قي عملية تحقق معنى النص، وهذا ما يفسّر الأثر الذي يحدثه النص في المتلقي.

استناداً على ما تقدم ذكره، يمكن أن نخلص إليه من النتائج التي يمكن حصرها فيما يلي:

-القارئ والنص مظهران متناغمان، حيث ركزت نظرية التلقي والتأويل بدورها على مساءلة النصوص الأدبية تفسيرها وتأويلها.

- تقدم لنا نظرية فيش إسهاما فعليا في قراءة النصوص، حيث يرى فيش أن التتابع الجملي في هو دائم التحقق حتى يستطيع ملأ الفراغات التي تعترضه أثناء القراءة.

- كما أن علاقة النص بالمتلقي علاقة تفاعل يقوم فيه بتأويله وتقديره دلاليًا نحو خطاطة ذهنية خصّها آيزر بتسمية وجهة النظر الجواله، فيرى أن النص لا يقرأ دفعة واحدة وإنما بحركية التي تنتج وفقها الدلالة.

- نجد أن التجريبتين (جمالية التجاوب وأسلوبية العاطفة) تتفقان في محاوره النصوص، ويعتمد في ذلك على تجربة القارئ في التعامل معها، والتي تبرز بالضرورة الجوانب المضيقه وصورها الفنيّة الجماليّة في هذه النصوص.

- ورغم ما بين أسلوبية العاطفة وجمالية التجاوب من فوارق عديدة أبرزها اختلاف الاجراءات القرائية، فإنّ بينهما وشائج عدّة أبرزها اعتمادهما على القارئ في سبر أغوار النص والنفاد إلى عمقه عن طريق حركيّة دائمة داخله.

- لقد ربط آيزر القارئ بالنص والتجاوب الحاصل بينهما بما هو عمل مهم في جماليّة التجاوب، بناء على مخططات ذهنية يسمح للقارئ بتمثله للمعاني داخل النصّ النسيج النصي.

- النظريتان تنطويان على دور القارئ في بناء المعنى النصي، فهما يقومان على الاهتمام بالبنية الذهنية للمتلقى ودورها في محاوره النصوص واستكناها بواطنها الداخلية.

5. الهوامش:

¹ - محمد سالم سعد الله، الأسس الفلسفية، لنقد ما بعد البنيوية، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، سوريا ، 2007م، ص 45.

- صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر ومصطلحاته، ميريت للنشر والمعلومات، ص 146.²
- محمد سالم سعد الله، الأسس الفلسفية، ص 114³
- روبرت هولب، نظرية التلقي مقدمة نظرية، تر: عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية، ط1، القاهرة، مصر 2000م، ص 50.⁴
- المرجع نفسه، ص 51.⁵
- المرجع نفسه، ص 51.⁶
- المرجع نفسه، ص 54.⁷
- المرجع نفسه، ص 55.⁸
- حميد الحميداني، الفكر النقدي الأدبي المعاصر، ص 168.⁹
- ينظر: المرجع نفسه، ص 34-35.¹⁰
- ينظر: روبرت هولب، نظرية التلقي مقدمة نظرية، ص 64.¹¹
- جين ب تومبكنز، نقد استجابة القارئ من الشكلائية إلى ما بعد البنيوية تر: حسن ناظم وعلي حاكم المجلس الأعلى للثقافة 1999م، ص 113.¹²
- روبرت هولب، نظرية التلقي ص 71.¹³
- المرجع نفسه، ص 71.¹⁴
- سميرة لخويل، طرق الدراسة السوسولوجية للأدب، النقد السيسولوجي، ب ط، ب ت، ص 41.¹⁵
- روبرت هولب، نظرية التلقي ص 73-74.¹⁶
- حميد الحميداني، الفكر النقدي الأدبي المعاصر، ص 168.¹⁷
- ينظر: فيرناند هالين، فرنك شويفيجن، ميشيل أوتان، بحوث في القراءة والتلقي، تر: محمد خير البقاعي، مركز الانماء الحضاري، ط1، سوريا، 1998م، ص 33.¹⁸
- حميد الحميداني، الفكر النقدي الأدبي المعاصر، مناهج ونظريات ومواقف، مطبعة أنفو برانت، ط3، ص 165.¹⁹
- صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ص 151.²⁰
- المرجع نفسه، ص 152.²¹
- حميد الحميداني، الفكر النقدي الأدبي المعاصر، ص 169.²²
- فولفغانغ أيزر، فعل القراءة، نظرية جمالية التجاوب في الأدب، تر: حميد الحميداني، الجلالى الكدية، منشورات مكتبة المناهل، المغرب، ب ت، ص 5.²³

- حميد الحميداني، الفكر النقدي الأدبي المعاصر، ص 171.²⁴
- آيزر، فعل القراءة، ص 5-6.²⁵
- المرجع نفسه، ص 5.²⁶
- صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ص 156.²⁷
- حميد الحميداني، الفكر النقدي الأدبي المعاصر، ص 171.²⁸
- محمد سالم سعد الله، الأسس الفلسفية، ص 114.²⁹
- المرجع نفسه، ص 115.³⁰
- ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، المركز الثقافي العربي، ط3، المغرب، 2002م، ص 287.³¹
- محمد سالم سعد الله، الأسس الفلسفية، ص 115.³²
- حميد الحميداني، الفكر النقدي الأدبي المعاصر، ص 172.³³
- محمد سالم سعد الله، الأسس الفلسفية، ص 115.³⁴
- روبرت هولب، نظرية التلقي ص 17.³⁵
- حميد الحميداني، الفكر النقدي الأدبي المعاصر، ص 172.³⁶
- فولفغانغ آيزر، فعل القراءة، ص 7.³⁷
- روبرت هولب، نظرية التلقي ص 16.³⁸
- آيزر، فعل القراءة، ص 5.³⁹
- ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي ص 286.⁴⁰
- المرجع نفسه، ص 286.⁴¹
- ينظر: روبرت هولب، نظرية التلقي ص 16-17.⁴²
- محمد سالم سعد الله، الأسس الفلسفية، ص 117.⁴³
- المرجع نفسه، ص 117.⁴⁴
- راما سلدن، النظرية الادبية المعاصرة، تر: جابر عصفور، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1997م، ص 177.⁴⁵
- المرجع نفسه، ص 177.⁴⁶
- المرجع نفسه، ص 177.⁴⁷
- المرجع نفسه، ص 177.⁴⁸

- ينظر: جين تومبكنز نقد استجابة القارئ، من الشكلائية الى ما بعد البنيوية، تر/ حسن ناظم، على حاكم، المجلس الاعلى للثقافة، 1999م، ص 146.⁴⁹
- محمد سالم سعد الله، الأسس الفلسفية ص 117.⁵⁰
- جين تومبكنز نقد استجابة القارئ، ص 146.⁵¹
- ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ص 287-288.⁵²
- عبد الكريم درويش، فاعلية القارئ في إنتاج النص - المرايا اللامتناهية - مؤسسة الكرمل الثقافية، العدد 64، 2000م، ص 322.⁵³

6. قائمة المراجع:

1. جين ب تومبكنز، نقد استجابة القارئ من الشكلائية إلى ما بعد البنيوية تر: حسن ناظم وعلي حاكم المجلس الأعلى للثقافة 1999م
2. جين تومبكنز نقد استجابة القارئ، من الشكلائية الى ما بعد البنيوية، تر/ حسن ناظم، على حاكم، المجلس الاعلى للثقافة، 1999م
3. حميد الحميداني، الفكر النقدي الأدبي المعاصر، مناهج ونظريات ومواقف، مطبعة أنفو برانت، ط3، ص
4. رمان سلدن، النظرية الادبية المعاصرة، تر: جابر عصفور، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1997م.
5. روبرت هولب، نظرية التلقي مقدمة نظرية، تر: عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية، ط1، القاهرة، مصر 2000م
6. سميرة لخويل، طرق الدراسة السوسولوجية للأدب، النقد السيسولوجي، ب ط، ب ت، ص 41
7. صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر ومصطلحاته، ميريت للنشر والمعلومات، ص 146
8. عبد الكريم درويش، فاعلية القارئ في إنتاج النص - المرايا اللامتناهية - مؤسسة الكرمل الثقافية، العدد 64، 2000م.
9. فولفغانغ أيزر، فعل القراءة، نظرية جمالية التجاوب في الأدب، تر: حميد الحميداني، الجلاي الكدية، منشورات مكتبة المناهل، المغرب، ب ت⁵³
10. فيرناند هالين، فرنك شويفيجن، ميشيل أوتان، بحوث في القراءة والتلقي، تر: محمد خير البقاعي، مركز الانماء الحضاري، ط1، سوريا، 1998م.

11. محمد سالم سعد الله، الأسس الفلسفية، لنقد ما بعد البنيوية، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، سوريا ، 2007م.
12. ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، المركز الثقافي العربي، ط3، المغرب، 2002م